بسمارك والدين (*)

معربة عن الفرنسوية بقلم الاستاذ الحكيم صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبده الشهير قال حفظه الله

رأيت في وقائع بسمارك التي نشرت بعد موته بقلم كاتم أسراره موسيو بوش كلاما جاء به البرنس وهو على مائدة الطعام مع جلسائه يتعلق بالدين فاستحسنت ترجمته ليطلع عليه من لم يسن بقراءة هذا الكتاب من شبابنا الذين يعدون النسبة إلى دينهم سبة، والظهور بالمحافظة عليه معرة ، وليعلموا أن الايمان بالله و بالوحي الإلهي الى أنبيائه ليس نقصا في الفكر، ولا ضلة عن صحيح العلم، ولا عيبا في الرياسة، ولا ضعفا في السياسة

جلس البرنس بسمارك على مائدة الطعام فرأى بقعة من الدهن على غطاء المائدة فقال لاصحابه دكما تنتشر هذه البقعة في النسيج شيئا فشيئا كذلك ينفذ الشعور باستحسان الموت في سبيل الدفاع عن الوطن في اعماق قلوب الشعب ولو لم يكن هناك أمل في الاجر والمكافأة ، ذلك لما استكن في الضمائر من بقايا الايمان ، ذلك لما يشعر به كل أحد من ان واحدا مهيمنا يراه وهو يجالد ويجاهد ويموت وان لم يكن قائده يراه ، فقال بعض المرتابين دانظن سعادتكم أن العساكر يلاحظون في أعمالهم تلك الملاحظة ، فأجابه البرنس

ليس هذا من قبيل الملاحظات وانما هو شعور ووجدان، هو بوادر تسبق الفكر، هو ميل في النفس وهوى فيها كأنه غريزة لها ، ولو أنهم لاحظوا لفقدوا ذلك الميل وأضاعوا ذلك الوجدان، هل تعلمون انني لا أفهم كيف يعيش قوم وكيف يمكن لهم أن يقوموا بتأدية ما عليهم من الواجبات أو كيف يحملون غيرهم على أداء ما يجب عليهان لم يكن لهم ايمان بدين جاء به وحي سماوي واعتقاد بأله يحب الخير ويحاكم ينتهي

(*) فاتحة العدد ٤٤ المؤرخ في ٩ رمضان سنة ١٣١٦ ـ ٢١ يناير (كـ٢) ١٨٩٩

اليه الفصل في الاعمال في حياة بعد هذه الحياة » ثم ساق الوزير كلامه على هذا النمط بأسلوب آخر فقال

« لو تقمصت عقيدتي بديني لم أخدم بعد ذلك سلطاني ساعة من زمان . اذا لم أضع ثقتي في الله لم أضعها في سيد من أهل الارض قاطبة . لكن انظروا الي تجدوني قد ملكت من موارد الرزق مايكفيني وارتقيت من المناصب مالا مطمع بعده فلماذا اشتغل ؟ ولم أجهد نفسي في العمل ؟ ولم أعرضها للهموم والآلام ؟ لايبقي على شيء من هذا الاشعوري بأني في جميع ذلك أعمل عملي لوجه الله . لولم يكن لي إيمان بالعناية الالهية التي قضت بأن يكون لهذه الامة الالمانية شأن كبير وأرى في الخبر عظيم لطرحت لساعتي ماحملته من اثقال وظائف الحكومة . ماذا أقول ؟ بل لولا ذلك الايمان لما قبلت شيئاً من هذه الوظائف لان الرتب والالقاب لاجاه لها في نظري . لولا يقيني بحياة بعد الموت ما كنت من حزب الملكية ، لو لم يكن هذا اليقين لكنت جمهوريا . نعم أنا جمهوري بالفطرة ، يتبين ذلك من الغارات التي أشنها على هنات « خصال الشر » رجال الحاشية من مدة تزيد عن عشر سنين . من هذا يظهر أن إيماني قد بلغ من القوة أعلاها حتى حملني بقوته على ان أكون ملكيا . أسلبوني هذا الايمان تسلبوني محبتي لوطني . اعلموا انني لو لم أكن مسيحياً مخلصاً لم يكن لكم وزير كبير مثلي يدبر أمر الاتحاد الالماني . لو لم أكن مخلصاً في ديني لوليت ظهري جميع الحاشية ، ولو وجدتم لي في الغد خلفا يكون أخلص مني في يقينه لانفلت من المنصب في الحال . ماأعظم مسرتي بهجر الوظائف لو تعلمون . إني أحب المعيشة في القرى والحقول ، أحب الانجام ومناظر الخليقة . إنزعوا مني هذه الرابطة التي تصلني بالله تجدوني من الغد رجلا يأخذ أهبته للسفر الى « وارزين » ليشتغل بحراثة أرضه وتنمية غرسه . ان لم أكن خاضعاً لامر الهي فلم أضع نفسي تحت طاعة هذه العائلة المالكة مع أنها تتصل بأصل ليس بالاعلى ولا بالانبل من الاصل الذي تتصل به عشيرتي »

هذا كلام بسمارك وهو يدلنا على ان هذا الرجل العظيم كان يعتقد ان عظائم أعماله انما كانت من مظاهر ايمانه وان الاعتقاد بالله والتصديق باليوم الآخر هما الجناحان اللذان طار بهما الى مالم يدركه فيه مفاخر ولم يكثره مكاثر